وذكِّرهُم بأيام الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الجبار القهار، العزيز الغفار، مكوِّر النهار على الليل، ومكور الليل على النهار، والصلاة والسلام على المصطفى المرتضى المجتبى المختار، المبعوث بالتبشير والإنذار، محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا- ما ناحت حمائم الأشجار، وما هبَّت نسائم الأسحار، وما أضاءت مشارق الأنوار، وما تنفَّس متنفس في جميع الدهور والأعصار، ورضي الله عن خلفائه الأخيار، وعن المهاجرين والأنصار، وعن جميع صحبه الأبرار ورفقته الأطهار، الذين ورِثوه في العمل بالهدى في المساء والإظهار، وفي العشي والإبكار، والذين نشروا دين الإسلام في الأقطار والأمصار، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان ما سار في السماء نجم وما دار في الأرض ديَّار، أمَّا بعد.

فإن الله -عز وجل- قد قال لنبيه وخليله محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾

وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾

وقال بشأن عبده ورسوله وكليمه موسى -صلى الله عليه وسلم-:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

ومِن هنا أحببتُ -عملًا بهذه الأوامر وامتثالًا لها- أن أُذَكِّر نفسي وسائر إخواني المسلمين بشيء من أيام الله، مما قرأته واطَّلعتُ عليه مما دوَّنته وسطَّرته أيدي علماء الإسلام في دواوينها من كتب التاريخ، مؤمِّلًا فيه وراجيًا أن يكون عظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين، وذكرى للذاكرين، وادِّكارًا للمدَّكرين، عسى أن نصبر على اللأواء، والشدة والبأساء، والداء والسقم والضراء، وعسى أن نشكر الله على النعماء والسراء، وعسى أن نتوب إلى الله رب الأرض والسماء، مِن كل شرك أو بدعة أو معصية، وأن نبرأ إلى الله من تلكم الفِرَق والأحزاب

والجماعات الشوهاء النكراء، التي تنخِر في صف ووحدة أمة الإسلام الجمعاء، والتي تَفُتُّ في عضد وقوة أمة الإسلام العزيزة الغراء العلياء، وعسى أن نحقق بهذه الذكرى الإيمان والتقوى، فيَفتح الله علينا من بركات الأرض والسماء، وَيَقِيَنا مصارع السوء، ويُذَلِّلُ لنا العقبات الكأداء، ويرحمنا في كل الأوقات والآناء، فإلى الذكرى، وما أكثر!! العظات والعِبَر وألوان الذكرى في الكتاب والسنة وتاريخ الأمم، وما يذَّكر إلَّا أولو الألباب.

قال الحافظ المفسِّر المؤرخ أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، الشهير بابن كثير، المتوفَّى في سنة أربع وأربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية في كتابه "**البداية والنهاية**" المجلد السابع، الجزء الثالث عشر، صفحة ثلاث وعشرين إلى خمس وعشرين، نشْر مكتبة الصفا، قال –رحمه الله تعالى– ما نصه:

"ثم دخلتْ سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جدًّا، فهلك خلق كثير جدًّا من الفقراء والأغنياء، ثم أعقبه فَناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة في "**الذيل**" أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحوًا من مائتي ألف، وعشرين ألف ميت، وأُكلت الكلاب والميتات فيها بمصر، وأُكل من الصغار والأطفال خلق كثير، يَشوي الصغيرَ والداه ويأكلانه، وكثر هذا في الناس جدًّا حتى صار لا ينكر بينهم، فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوي الضعيف فذبحه وأكله، وكان الرجل يحتال على الفقير فيأتي به ليُطْعِمه أو ليعطيه شيئًا ثم يذبحه ويأكله، وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها، وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى، بل يعذِرُ بعضهم بعضًا، ووجِد عند بعضهم أربعمائة رأس، وهلك كثير من الأطباء الذين يُستدعَون إلى المرضى، فكانوا يُذْبحون ويؤكلون، كان الرجل يستدعي الطبيب ثم يذبحه ويأكله، وقد استدعى رجلٌ طبيبًا حاذقًا، وكان الرجل موسِرًا من أهل المال، فذهب الطبيب معه على وجل وخوف، فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر الله ويسبحه، ويُكثِر من ذلك، فارتاب به الطبيب وتخيل منه، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره، فإذا

هي خربة، فارتاب الطبيب أيضًا، فخرج صاحبه فقال له: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد، فلما سمعها الطبيب هرب، فخرجا خلفه سراعًا فما خلص إلا بعد جهد وشر.

وفيها وقع وباء شديد ببلاد عَنَزَة بين الحجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشْرة قرية، لم يَبْقَ فيها ديَّار ولا نافخ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، نعوذ بالله من بأس الله وعذابه، وغضبه وعقابه، أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم، بل هم على حالهم لم يُفقد منهم أحد، فسبحان الحكيم العليم.

...

وفيها كان زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق، وكان جمهورها وعظمها بالشام، تهدَّمت منها دور كثيرة، وتخرَّبت محالٌّ كثيرة، وخُسف بقرية من أرض بُصرى، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء كثير، وأخربت[1] محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامِرة، ومات بها وبقراها ثلاثون ألفًا[2] تحت الردم، ... وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون، وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقة بنيانها، وانفرق البحر إلى قبرص، وقد حذف بالمراكب منه إلى ساحله، وتعدى إلى ناحية الشرق، فسقط بسبب ذلك دور كثيرة، ومات أمم لا يُحصوْن ولا يُعَدُّون حتى قال صاحب مرآة الزمان: إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلًا تحتها، وقيل: إن أحدًا لم يُحْصِ من مات فيها، والله سبحانه أعلم"

انتهى كلام الحافظ ابن كثير –رحمه الله تعالى–.

١- في المطبوع: "وأخرجت"!!

٢- في المطبوع: "ألف"!!

قال مُقيِّدُه أبو بكر بن ماهر –عفا الله عنه وعن إخوانه المسلمين–:

هذا قليل من كثير مما شحنت به دواوين الإسلام من العبر والعظات، والسعيد مَن وُعِظ بغيره، فهل آن الآوان لأصحاب الموالد والأعياد الجاهلية التي يُقترَف فيها من الشرك والبدع والمعاصي ما يُقترف، هل آن الأوان ليُقلِعوا عن ذلك كله؟!

وهل آن الأوان لقطاع وتاركي الصلاة أن يُصَلُّوا ويَصِلوا ما بينهم وبين ربهم؟!

وهل آن الأوان للسَحَرَة والدجالين أن يُقلِعوا عن سِحرِهم ودَجْلِهم؟!

وهل آن الأوان للمرابين أن يتركوا الربا قليله وكثيره؟!

وهل آن الأوان لشُرَّاب المخدرات والمسْكِرات أن يقلعوا عن سكراتهم وغفلاتهم؟!

وهل آن الأوان للعاكفين على مشاهدة ما يورثهم فتنة الشهوات أن يقلعوا عن عكوفهم ذلك؟!

وهل آن الأوان لأصحاب الأحزاب والجماعات والجمعيات والتجمعات الحزبية أن يقلعوا عن ذلك كله؟! وهل آن الأوان للمتبرجات أن يَستعففن ويتحصَّنَّ بالأخلاق الشرعية واللباس الشرعي، ويتركن إيذاء المؤمنين، وأن يُعطين الطريق حقَّه، والذي منه كف الأذى؟!

وهل آن الأوان لأن يَتمسَّك المسلمون بكتاب ربهم وسنة نبيهم بفهم السلف الصالح حقًّا بلا تحريف ولا تعطيل؟! قال –تعالى–:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ **بلى قد آن.**

اللهم قد بلَّغتُ وأنذرتُ، اللهم فاشهد.

تم تحريره في ليلة الأربعاء، الموافق الرابع والعشرين من ربيع الآخر

لسنة أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام

وكتبه

أبو بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة

أبو عبد الله